المحاضرة: 11

الموضوع: مشروع علي حرب الفلسفة التفكيكية

الأهداف الإجرائية:

- أن يتعرف الطالب على أسس ومبررات علي حرب في تبنيه لمشروع الفلسفة التفكيكية.
- أن يحدّد الطالب على علاقة مشروع علي حرب التفكيكي بسؤال التقدم في المجتمع العربي والإسلامي.
- أن يحلل ويناقش أبعاد وحدد مشروع علي حرب التفكيكي.

الإشكالية : ما هي استراتيجية التفكيك؟ وما هي أسسها الفلسفية؟، وما حدود تطبيق علي حرب لهذه الإستراتيجية الغربية في البيئة الفكرية العربية؟

وضعية انطلاق: لقد جاءت الفلسفة الغربية المعاصرة كثورة نقدية للفكر الفلسفي الحديث،بسبب تبنيه لشعارات غير قابلة للتجسيد في مجتمع تسيطر عليه الآلة الرأسمالية، فأسست لمرحلة جديدة في الفكر الغربي سميت بمرحلة ما بعد الحداثة، بغية معالجة الإخفاقات الحضارية الكبرى لعصر الأنوار في أوروبا، والتحرر من ثقافة النخبة، والمركزية، وذلك من خلال الإيمان بالاختلاف وتعّدد الهويات، والانفتاح على الإبداع والتجديد في كل مجالات الحياة.وتعد استراتيجية التفكيك من أهم ثمار ما بعد الحداثة، حيث عمد مفكري هذا المشروع إلى الكشف عما تخفيه النصوص، وتحجبه من حقائق عن طريق آليات الحفر والنبش،وتعرية الأسس للوصول إلى الجوانب المهمشة، والمطمورة، اللامفكر فيها داخل النص،ومن هنا إحداث تلك القطيعة المعرفية التي جسدها دعاة ما بعد الحداثة وعلى رأسهم المفكر الفرنسي"جاك دريدا2112 - 1391)Jacques Derrida(مع المشروع الحداثي، خصوصا تصورات ومفاهيم الفكر البنيوي الذي كّرس للفكر الأحادي وللثبات، واليقين،والمركزية.

إن هذه التحولات المعرفية كان لها الأثر البالغ على الفكر العربي المعاصر في مقاربته تطبيق التفكيك في سياقه النسبي،و يجنبنا التعامل معه على أنه نموذج سحري قادر على حل كل الإشكاليات التي يطرحها تأويل النص.للقضايا والإشكاليات المطروحة في نطاقه، إذ يعّد المفكر اللبناني"علي حرب" من أهم مفكري العرب المتأثرين بهذه الاستراتيجية، كمحاولة منه لمواكبة تلك التحولات التي حدثت في الغر ب، عن طريق استثمار التفكيك في المنتوج الفكري في العالم العربي، بغية التأسيس لقراءة معاصرة للنصوص، خاصة التراثية منها، وذلك عن طريق تجاوز حدود النص في الثقافة العربية التي تنظر إلى النصوص بمعناها الأحادي الجامد، والعمل على إعادة النظر في كل ما نعرفه عن هذا النص أو ذاك،من منطلق أّن النّص لم يعد مجرد أداة للمعرفة، بل أصبح نفسه ميدانا معرفيا مستقل ، أي مجالاً لإنتاج معرفة تجعلنا نعيد النظر فيما نعرفه عن النص،و المعرفة في آن واحد،من خلال هذا المنطلق نطرح التساؤل التالي :

ما هي استراتيجية التفكيك؟ وما هي أسسها الفلسفية؟، وما حدود تطبيق علي حرب لهذه الاستراتيجية الغربية في البيئة الفكرية العربية؟

.1- **إستراتيجية التفكيك عند علي حرب بين النظرية والتطبيق:** لقد سار "علي حرب" في قراءته للفكر في العالم العربي على خطى **جاك دريدا** في نقده للتراث الغربي، فقد استلهم منه المنهج بغية تطبيقه على التراث، والفن، والدين، والفلسفة، وكل أنماط الثقافة والفكر في المجتمع العربي، " فكل مفهوم يبتكر في قراءة الحدث، إنما هو تفكيك لبنية من أجل توليد بنية أخرى،وعلى هذا النحو يتم التعامل فينظره مع التراث، والهوية ،والحداثة، والغير والعالم)[1] ، وفي هذا يقول علي حرب "هكذا فأنا تفكيكي في تعاملي مع خطاب العقل ومطلقاته...،ولهذا فإن العقول المختلفة، و العقلانيات المتلاحقة لم تراكم سوى اللامعقول الذي حسبنا أن بإمكاننا تجاوزه، والتغلب عليه ")حرب، نقد النص، ومن هنا فالتفكيك عنده هو قراءة وتحليل الأحداث، وتعرية الأسس، والبنى الفكرية البالية، والبحث عن اللامعقول بهدف هدم كل المفاهيم التي لم تعد تناسب حاضر المجتمعات العربية، وإعادة بنائها وفقا للمعايير الموجودة، واستبدالها بمفاهيم أخرى مناسبة، وكل هذا من أجل تأسيس فكر عربي حي وخالق، قادر على ممارسة وجوده على الارض فتبني علي حرب للتفكيكية يرجع الى موقفه من التراث، الذي يقوم على نصوص بشرية وكذلك النص الديني، وهو يرى أن فهم هذه النصوص، يحتاج الى تجاوز القراءات السابقة، وهو تجاوز قائم على تعريتها اولاً واثبات بعدها عن المعنى الكامن في النص، بسبب خضوع تلك القراءات إلى توجيهات فكرية ومذهبية سابقة للمعنى الحق في النص. فقد كانت تلك القراءات تلوي النص وتحجب الحقيقة. كما أنها لا تخضع لآليات منهجية علمية. ولهذا دعا الى ضرورة إخضاع النص لقراءات جديدة وفق المناهج العلمية واللغوية، التي تفكك النص، لأجل إنتاج فهوم ومفاهيم جديدة يمكن من خلالها التأسيس لرؤية حضارية للعالم وكذلك بلوغ الإبداع و تحقيق الوجود الفعلي للإنسان العربي.

2- علي حرب وتفكيك مسألة التراث والحداثة: بالنسبة للمفكر علي حرب، التراث بمثابة مكون ورأسمال رمزي، أهميته ودوره مرتبط بالطريقة التي ننظر بها اليه و وكذلك التي نتعامل بها معه، وطبيعة العلاقة التي نشكلها بين التراث والحاضر والمستقبل.فإن نحن أحسّنا صرفه والتصرف فيه،وأّن الأهمية ليست في الانقطاع عنه كما هو شائع عن الحداثيين،أو بالمحافظة عليه بالمحافظة عليه كنموذج نقلده ونتبعه مثلما هو الأمر عند الأصوليين دون ممارسته ممارسة منتجة فعّالة، وفاعلة في إنتاج الوعي والفهم القادر على مدّ الإنسان بأدوات معرفية تساعده في التأسيس لرؤيته الوجودية و بلوغ سعادته وكرامته المنشودة، وهو الأمر الذي يقتضي الحرص على إعادة تشكيل النص والفهم البشري له تشكيلا متماشيا مع روح العصر ومقتضيات الواقع، ثم القيام بإعادة صياغة إشكالاته ومفارقاته، وتوليد بنيات مختلفة، ونسج شبكات متصلة و متكاثرة من الإحالات والتحويلات[2]، وأن التماهي مع الأصول الثابتة، ينتج عنه لا محالة الجمود و العقم و الإرهاب والدمار،و هذا من أبرز عوائق المشروع الحضاري[3]. وهو يقول في هذا الشأن :" الداعية التراثي الذي يعتقد أن الشرائع القديمة تنطوي على أجوبة وحلول، لكل الأسئلة والمشكلات الراهنة...،والوجه الآخر للداعية

---

[1] علي حرب، الماهية والعالقة نحو منطق تحويلي، صفحة 200.

[2] حرب، الماهية والعالقة نحو منطق تحويلي، ص200

[3] حرب، أزمنة الحداثة الفائقة، 2015، ص 222.

التراثي هو المثقف الحداثي من حيث العجز عن الخلق والابتكار، فالحداثيون على اختلاف منطلقاتهم أخفقوا في تطوير العناوين والمفاهيم التي تداولوها طوال عقود حول التقدم و الاستنارة والحرية و العقلانية والحداثة"[4].

ومن هنا يقف علي حرب موقفا نقديا تفكيكيا من أولئك المتغربين الذين ينادون بقطع الصلة بالتراث،وبين أولئك الماضويين الذين يريدون العيش في الماضي واللجوء إليه بحثا عن الاطمئنان النفسي، وادعائهم امتلاك مفاتيح الحقيقة والمعرفة لإنقاذ الأمة من الفساد الذي هي فيه، وذلك باستئصال الاختلاف والتنوع، فتحولوا إلى دعاة للتخويف والترهيب، فلا هم طوروا العلوم القديمة من التراث و لا هم انفتحوا على العلوم الجديدة، ومن ثم أصبحوا يتصرفون كعبيد للماضي واستعادته بصورة مشوهة، وعقيمة. وبهذا يرفض التقديس الذي يقتل الإبداع،ويؤدي إلى الركود والتخلف،والخروج من الانحطاط .وهكذا فالتراث في نظر علي حرب لا يمكن الاستغناء عنه، لأنه جزء من ثقافتنا، وهويتنا، ولكن هذا لا يعني أننا سنبقي عليه كما هو، لأنه لاشيء يبقى على ما هو عليه، وإنما يجب أن نحّوله إلى عملة معاصرة، وننظر إليه كقاعدة تبنى عليها هياكل الحداثة العربية المنشودة، أي بناء ما هو جديد على قواعد قديمة، وهذا عن طريق إخضاع كل التراث لمنطق التجديد و الإبداع، وتحويل المفاهيم، وخلق الحقائق،وفتح المجال أمام الابتكار، و هو مطلب لا يمكن أن يتحقق إلا بحضور الوعي، وعي نقدي أكثر تطورا من ذلك الذي هو كائن.

كون العرب في فترة من تاريخهم لم يكتفوا بأنهم أصحاب العقيدة الحقة، بل انفتحوا على كل الحضارات، وعملوا على امتصاص كل منجزات الحضارة البشرية، وفتحوا الأفق واسعاً إلى حضارة جديدة، فجددوا المفاهيم، وفتحوا العالم بأفكارهم الخالقة، ولم يتعاملوا مع النص الديني بصورة حرفية، وإنما اشتغلوا عليه بالقراءة، شرحا وتأويلا، وحتى تفكيكا في ذلك الزمن، وكانت النتيجة أنهم استطاعوا أن يتصدروا واجهة الحضارة لقرون طوال، فطوروا علوم الأوائل كالرياضيات وعلم الطبيعة و الفلسفة والمنطق وابتكروا علوما جديدة كعلم الكلام، وعلم اللغة، وعلم التفسير، والحديث وغيرها، حتى وإن كانت مبنية على النص الديني فهي تستخدم مناهج عقلية محكمة الدقة.

هذا عن دعاة الأصالة، أما عن دعاة الحداثة فهو يرى أنهم تعاملوا مع الأفكار الحديثة بعقلية التبشير والتقليد، والترويج[5]، فكانت دعوتهم مجرد شعارات زائفة وخاوية،و هشة مما أدى بمشاريعهم الفكرية إلى الفشل نتيجة قطع علاقتهم بتراثهم الغني بالأفكار الحية، فلم يحسنوا هم أيضا إنتاج الحقائق التي بها يشاركون في صناعة الحضارة والتقدم، بل وقفوا ضد التطور والتجديد، ومن هذا المنطلق فكل تقديس في نظر علي حرب للقديم أو الحديث أو للأشخاص أو التمسك بالنموذج،إنما يؤدي حتما إلى شل طاقة العقل عن الفهم وتشخيص مشكلات العصر وعلاجها.

ومنه دعا حرب إلى ضرورة الخروج من هذه الثنائيات المستهلكة حول التراث والحداثة لأنها غلبت الاعتبارات الايديولوجية على المشاغل العلمية، فتحول المثقفون العرب إلى

---

[4] حرب، أزمنة الحداثة الفائقة، 2015، ص ص 199 ،192

[5] حرب، أزمنة الحداثة الفائقة، 2015، ص 199.

مجرد دعاة لهذا الفكر أو ذاك، وتم تغييب الأساس الذي تبنى عليه الحضارات وهو البحث العلمي الموضوعي،" و إلاّ كيف نفسر أن جامعاتنا وساحاتنا ومؤتمراتنا تضج أو تمتلئ بعشرات المفكرين، من غير أن تمكن من الخروج على العالم بفكرة واحدة خالقة، إنها ضخامة الألقاب، وهشاشة الأفكار"[6]، كل هذا في نظره بسبب غياب ممارسة النقد بما فعل يقوم على التشريح والتفكيك، وتعرية وفضح كل الأسس من أجل إعادة التأهيل والتربية والبناء. فبعد وفاة النبي صلى الله عليه و سلم لا وصاية على العقل لأحد، لذلك يجب كسر كل وصاية في شكلها الديني أو السياسي، أو حتى الفلسفي والعلمي، أي أن نمارس حريتنا واستقلاليتنا في التفكير دون تدخل أي سلطة .

ومن خلال تحليلنا لموقف علي حرب حول مسألة التراث والحداثة وتوجّهه التفكيكي، نجده قد قام بتفكيك الواقع العربي بغية اكتشاف أهم الأزمات التي كانت سببا في تخلفه و عجزه عن مواكبة التطور الفكري والعلمي، ومنه نحت مكانة وجودية وحضارية محترمة له، وهي أسباب تكمن في أزمة فكر ملوث بالمركزيات والماورائيات، بداية من أزمة الأيديولوجيا القمعية إلى أزمة المثقف العربي، ونتيجة لهذا الوضع الشبيه بوضع الواقع الغربي الذي ثار ضده جاك دريدا، فقد سار علي حرب على نفس الخطى من خلال دعوته إلى نبش الأصول و الأسس، وتعريتها وفضحها، وتقويض كل الأصنام التي صنعتها الجماهير والمثقفين على مر التاريخ، ثم مارست تجاهها طقوس التبجيل والتعظيم،وهدم دكتاتورية الحقيقة من أساسها، ورفض كل الثنائيات حول التراث والحداثة، والتي من شأنها الإعلاء لطرف او فئة على حساب فئة أخرى، كالثابت والمتحول، و الأصالة والمعاصرة، الإسلام والغرب، الدين والحداثة،وغيرها من الثنائيات،بغية الخروج من القوقعة الفكرية، وأدلجة المعرفة .

روح الاختلاف هي أساس النهوض

3- **من تجاوز مسألة التراث والحداثة إلى تجاوز القراءة الأحادية للنص:** لم يعد يهم علي حرب الاشتغال على ذلك السؤال الذي طرحه النقاد وأصحاب المشاريع الفكرية قبله، وهو كيف نتعامل مع التراث العربي و الإسلامي والحداثة الغربية؟ معتبرا هذه المسألة قد استهلكها الزمن، ولم يعد البحث فيها يجدي نفعا، كما لم يعد بهمه إن كان هذا المنهج أو ذاك من مصادر غربية، فهو لا يؤمن بتجنيس فروع المعرفة فالمعرفة لا دين لها ولا جنس لها ولا يمكن حصرها في سياج جغرافي او ديني او ايديولوجي، ولكن الأهم عنده هو أن ننجح في استثمار هذه المناهج واستخدامها للعمل على معطيات التراث أو حقول معرفية أخرى[7]، ومن هذا المنطلق فالسؤال المهم الذي يجب أن نشتغل عليه هو كيف نتعامل مع الفكر عموما؟ وهو سؤال نتوجه من خلاله إلى البحث في القضايا العربية والغربية والكونية إجمالا ولن يتأتى هذا في نظره إلاّ بتجديد العدة المعرفية للناقد العربي، والتحرر من السبات المنهجي، والابتعاد عن كل المناهج البالية في قراءة النصوص و الإحداث التي فقدت مصداقيتها في المقاربة والمعالجة،ولم تعد قادرة على الخلق و الإبداع،إلى مناهج تضمن فك النصوص للوصول إلى قراءة خصبة ومثمرة عن طريق قراءة القراءة، أو نقد النقد كما

---

[6] حرب، أزمنة الحداثة الفائقة، 2015، ص 192.

[7] حرب، المنوع والممتنع، 2011، ص 25.

يسميها لكل النصوص دينية كانت أو فلسفية، أو سياسية ففي النقد تستوي النصوص على اختلافها[8]؛فهي في نظره قراءة تنسج من قراءة سبقتها، وهي قراءة مولدة للتباين، منتجة للاختلاف، وكاشفة عما لم تكشف عنه القراءة الأولى، فتبث فيها روحا جديدة، وذلك من خلال الكشف عن خلفياتها المعرفية الكامنة بين السمات اللفظية.
وكل هذا بهدف الخروج من هذا المأزق المعرفي الذي يعانيه مجتمعنا العربي منذ قرون،وبالتالي فالمنهج الوحيد الذي سيحقق هذا الهدف، هو منهج التفكيك، الذي له القدرة على تجاوز ظاهر الخطاب، والوصول إلى الأعماق المخفية والمسكوت عنها، والكشف عن كل ما تحجبه الخطابات[9] ، إنه نبش للأصول وتعرية للأسس وفضح للبداهات، والتحرر من كل طابع يدعي القبض على الحقيقة في النص، وتجريد النصوص من كل ما له علاقة بمؤلفيها، بواسطة الذات القارئة نفسها، فذات المتلقي إذن تلغي ذات المؤلف، ويتحقق ما يسمى بالقراءة الفعالة التي تستخدم التفسير والتحليل، والتأويل والتفكيك، بعيدا عن القراءة الانتقائية الساذجة التي لا تأتي بجديد.[10]فالمهم ليس ما يقوله النص، بل ما يسكت عنه النص، ويحجبه، كون ذلك المحجوب هو حقيقة مخفية يجب إظهارها و الإعلان عنها ليتعرف عليها الفرد والمجتمع الذي بدوره يجب ان يمارس القراءة الواعية كي لا يقع مرة اخرى في مصيدة قراءات تسعى لتفرض نفسها كمرعية وحيدة ونهائية لفهم النص ومنه امتلاك الحقيقة.

وعلى هذا الاساس رفض علي حرب كل القراءات الحرفية،التي تبحث عن معنى وحيد، واعتباره المعنى الأصلي الذي يحتمله الكلام، وهي قراءة أهل الظاهر التي تقرأ النصوص بنفس قراءة مؤلفيها، وهي قراءة فرضتها الحروب الدينية، والسَجالات المذهبية، التي كان يعتقد فيها كل مذهب بأنه متطابق مع النص الديني، وكل اختلاف مع مذهبه يعد بدعة و ضلالة، وتحريفا[11].

إن الوقوف عند المعنى الحرفي للنص ما هو في الحقيقة إلاّ مجرد تكرار للنص، وأن عدم مطابقة القراءة للنص لا يعني أن القارئ أخطأ في قراءة النص، فلا توجد قراءة منزهة،وأن النص الواحد يحتمل قراءات متعددة، و لا يحمل في ذاته دلالة جاهزة، ونهائية، فكل قراءة هي احتمال من بين الاحتمالات الكثيرة،يقول علي حرب:"من هنا تختلف قراءة النص الواحد مع كل قراءة، وبين قارئ وآخر، بل تختلف عند القارئ نفسه، بحسب أحواله و أطواره[12]"، ومن خلا هذا يتبين أن القراءة التي يتحدث عنها علي حرب هي نشاط ذهني متنوع يؤدي إلى تعدد المعاني والدلالات،والاختلاف، لأن النص ينطوي على فراغات أو فجوات، تخترقه شقوق وهذا ما جعله يدعوا إلى القراءات المتعددة وان تعارضت واختلفت، ومنه يتسع مصطلح القراءة عند علي حرب، إذ أنه لا يقتصر على مجال النصوص المكتوبة فحسب بل يتعداه إلى معطيات لا كتابية، بل إلى أي معطى كان، وهذا ما جعلها تنتقل من التنظير

---

[8] حرب، نقد النص، 2011، ص 19

[9] حرب، الفكر والحدث، ص 21.

[10] حرب، المنوع والممتنع ، 2011، ص 51.

[11] حرب، نقد الحقيقة، 2015، ص 11.

[12] حرب، نقد الحقيقة، 2015، ص 20.

النصي إلى مواكبة الأحداث على أرض الواقع التي تنتج حولها النصوص، ومن هنا تعدى هذا المصطلح المجال الذي وضع له وهو الكتب والنصوص، إلى الفهم والتشخيص، والتقييم والتقدير[13]، وبنزول هذا المصطلح إلى الواقع، أنزل معه الحقيقة المتعالية من عرشها، إلى التحول والتبدل، وإعادة الخلق والتشكل سواء تعلق الأمر بقراءة النصوص المكتوبة،أو الأحداث على مستوى الواقع، أو حتى ميدان البحوث العلمية، فأصبح القبض على الحقيقة بشكل موضوعي مطابق مجرد وهم من الأوهام، واستبدل مفهوم الحقيقة بمفهوم القراءة، وبالتالي فنحن لا نبحث عن الحقيقة في النص بل نخلقها، فالحقيقة"ليست ثابتة بقدر ما هي ثابت من ثوابت الفكر، نقيم معه عالقات تتغير باستمرار"[14]، كون الثابت الوحيد في الوجود هو التغير والصيرورة، ومن هنا فالمشكلة لم تعد في قصور هذا المنهج أو ذاك في الوصول إلى الحقيقة، بل المشكلة في قدرتنا على تفكيك المعطيات أيا كانت من أجل تجديدها والتقدم بها إلى الأمام[15].

4- تطبيقات علي حرب الإستراتيجية التفكيك في البيئة الفكرية العربية .

4-1. تطبيق آليات التفكيك والنقد على المشاريع الفكرية العربية المعاصرة :لقد رفض علي حرب كل المشاريع الفكرية النهضوية السائدة في الفكر العربي المعاصر، ألنها لم تستطيع في نظره الكشف عما تخفيه النصوص، منتقدا الفعل القرائي لدى أصحاب هذه المشاريع، والتي في معظمها لم تكن قراءات فعالة منتجة، قائمة على التفكيك وإعادة البناء، والتعدد و الاختلاف، من منطلق أن فعل القراءة هو فعل فكري مولد للتباين، ومنتجا للاختلاف، وبهذا تختلف قراءة علي حرب على كل القراءات التصنيفية، والإيديولوجية، والاستهلاكية التي انتقدها ومن أهمها :

أـــ **نقد القراءة الإبستيمولوجية عند محمد أركون:**حاول محمد أركون في مشروعه "نقد العقل الإسلامي"، من خلال تفكيك التراث، والحفر في طبقاته على طريقة **ميشال فوكو** من أجل إعادة بنائه من جديد، وذلك بالاستناد على كل العلوم والمناهج العلمية الحديثة، بهدف تحرير النص الاسلامي، وتجسيد القطيعة استراتيجية التفكيك مع كل القراءات الوثوقية المنغلقة التي هيمنت على الخطاب العربي لعدة قرون، نافيا الموضوعية عن التفاسير القديمة والمعاصرة .

وعلى الرغم من أن غاية كل من علي حرب وأركون تكاد تكون نفسها،وهي الكشف عن الجوانب المخفية في النص، اللامفكر فيها، إلا أن علي حرب لا يعترف بطريقة تعامل أركون مع النص، معتبرا هذه القراءة تصنيفية تسوغ لنفسها الكمال، وتدعي القبض على الحقيقة، خاصة حينما نفى أركون الموضوعية عن كل السابقين، وإلغائه لكل المحاولات الفلسفية الفّذة التي كتبت بعد ابن رشد، كتلك التي تركها الشيرازي[16] ، وكأن الحقيقة هي

---

[13] حرب، هكذا أقرأ ما بعد التفكيك، 2015، ص 11.

[14] حرب،الفكر والحدث، ص 91.

[15] حرب، الفكر والحدث، ص 11 .

[16] حرب، نقد النص2011، ص 31.

معطى جاهزا سلفا، كما أن القراءة العلمية المقننة التي تنطلق من منطلق إبستيمولوجي محض، ليس بإمكانها الوصول إلى اللامفكر فيه، وليست لها القدرة على تحديث العالم الإسلامي، على الرغم من ضرورتها في تزويدنا بالعدة المنهجية الجديدة، ولما كانت النصوص منفتحة على الأفق الأنطلوجي فإنها تتطلب نوعا آخر من المعالجة وهي المعالجة التأويلية[17]، كون التأويل طريق به ينفتح العقل المغلق،وتتوسع رؤيته إلى ما لم يرى .

بـــ نقد القراءة الإيديولوجية للنص عند محمد عابد الجابري : علي حرب يرى أن محمد عابد الجابري قد حاول البحث في أصول العقل العربي بغية تحليل مكوناته، والكشف عن بنيته، من دون التقيد بالقراءات السابقة التي تناولت مسألة التراث، لأن كل هذه القراءات في نظره لم تفحص الأدلة أو الأداة التي ُتنتج بها الأفكار،فالمهم هنا ليس مادة العقل بل الطريقة التي استخدمها العقل في التعامل مع هذه المادة، ومن هنا وجب وضع العقل العربي نفسه موضوعا للنظر، وكل هذا بهدف البحث عن مكوناته، وفحص أسسه، وتدشين عصر تدوين جديد، تكون نقطة البداية فيه هي نقد السلاح الوسيلة ،أينقد العقل العربي، وبهذا العمل استطاع الجابري أن يشرح الثقافة العربية، و أعاد تصنيف المعرفة التي شيدها العقل العربي من خلال ثلاثة نظم معرفية وهي: النظام البياني،وهو المعقول الديني العربي الصرف، والذي يشمل النحو والفقه والبلاغة والكلام، والنظام ألعرفاني وهو اللامعقول العقلي الناتج عن تأثر العقل العربي بالموروث الشرقي القديم، والذي يشمل التنجيم، والتصوف، والتشيع، وأخيرا النظام البرهاني، وهو معقول المعقول الناتج عن تأثر العقل العربي بالموروث الإغريقي،والذي يشمل الفلسفة والمنطق،والرياضيات وعلوم الطبيعة[18].

جـــ نقد آلية القراءة عند حسن حنفي : تندرج كتابات حسن حنفي ضمن حسب علي حرب فيما يسمى تيار اليسار الإسلامي، حيث اشتغل بمشروع التراث والتجديد، الذي أراد من خلاله مقاومة آفات العرب الثلاثة: التقليد للقدماء،التقليد للغرب، والعزلة عن الواقع، وقد ارتكز مشروعه هذا على إعادة قراءة وتحليل، وبناء ونقد التراث العربي والإسلامي القديم، إيمانا منه بأن أي نهضة لا يمكن أن تقوم إلا من خلال الاستناد للتراث القديم، لكن عبر قراءة جديدة عصرية تربطه بالواقع الحالي، ومشكلات المجتمع، وهمومه المستقبلية.

هذا وقد قسم حسن حنفي مشروعه إلى ثلاث جبهات: الجبهة الأولى هي جبهة التراث القديم، وقد كتب فيه موسوعة "من ... وإلى...."(من النقل إلى العقل، من الفناء إلى البقاء، من العقيدة إلى الثورة،من النص إلى الواقع، وهكذا، والجبهة الثانية وهي جبهة التراث الغربي التي حاول فيها أن يكون مؤسس او مقدما لعلم الاستغراب من خلال كتابه الشهير"**مقدمة في علم الاستغراب**"، وأما الجبهة الثالثة والأخيرة هي جبهة الواقع، وهي تمثل جبهة الإبداع الفلسفي الخالص، إذ أنتج فيها تفسيره الموضوعي للقرآن الكريم، وبعض الأعمال الإبداعية الأخرى.وعلى الرغم من أن العلمانية والأصولية ضدان لا يتوافقان، إلا أن مشروع التراث والتجديد لحسن حنفي هو عبارة عن استراتيجية حاول من خلالها تأويل التراث الإسلامي، بوصفه تراثاً يحتوي على عناصر دنيوية علمانية بغية التأكيد على الإسلام كدين لا يتعارض

---

[17] حرب، نقد النص، ص 31

[18] الجابري، بنية العقل العربي. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية 2013، صفحة 555

مع العلمانية، وأن الأصولية ستخسر كثيرا إذا ما وضعت نفسها مقابل العلمانية، وكذلك الأمر بالنسبة للعلمانية قد تخسر أيضا إذا ما وضعت نفسها مقابل الأصولية، فالأصوليون يعرفون كيف يقولون ولكن ليس لديهم ما يقولون،والعكس بالنسبة للعلمانيين فهم لديهم ما يقولون ولكن لا يعرفون كيف يقولون، ومن هنا فانقسام المجتمع العربي إلى علمانية وأصولية، هو الذي أدى إلى إضعافه من الداخل، ولا يقوى إلا إذا توحدت هذه القوى وتعايشت كقوة واحدة .

لقد كان علي حرب من المتابعين بجد لمشروع حسن حنفي، إذ أعجب برؤيته ومنهجه، وترسانته المعرفية الضخمة، وذلك من خلال اطلاعه على جبهات متعددة، واشتغاله على عصور متباعدة، وتناوله لعوالم ثقافية مختلفة، وتجارب إنسانية متباينة، هذا ما جعل علي حرب يتردد في الكتابة عن مشروع حسن حنفي، وخاصة في تلك الجبهات الثلاثة التي فتحها، ولكن حينما صدر كتاب " مقدمة في علم الاستغراب"، والذي حاول فيه حنفي نقد العقل الغربي،من خلال الكشف عن أخطائه،وزلاته كما كان يفعل بنا ولا يزال بالنبش في أخطائنا وزلاتنا، وكان القصد من هذا كله تحرير العقل العربي من عقدة الانبهار والاندهاش، والإعجاب المبالغ فيه من الفكر الغربي الذي ينظر إليه وكأنّه معصوم من الخطأ، هذا الوهم الذي قاد الكثير من المفكرين العرب إلى الانقياد الأعمى للغرب اعتباره منّزها عن الخطأ والنقائص.

من هنا بدأ علي حرب نقده لمشروع حنفي، وذلك ليس من باب الإنكار أو الإثبات،ولكن من باب الاهتمام بما هو عرضي وهامشي، والمهمل الذي لا يلفت الانتباه، ومن هنا فعلي حرب لم يهتم بما صرح به حسن حنفي، ولكن كان اهتمامه بما لم يصرح به، منتهجا نهج أهل التفكيك الذين لا يهتمون بالمضامين، بقدر ما يهتمون بتوترات النص وزلاته،وبمستنداته السرية، وبناه المترسبة، و ببداهاته المتحجبة، و لغوناته الصامتة[19]، بمعنى أن علي حرب لم يستهدف ما قاله النص، بل استهدف ما سكت عنه النص،وما لم يقله،و هو ذلك المحجوب الذي يجب إظهاره.

لقد عمد علي حرب في نقده لمشروع حسن حنفي إلى تحليل شخصية حنفي وهو يمارس الكتابة من خلال هذا المؤلف المذكور آنفا، وبالخصوص في صفحاته الأخيرة، والتي أورد فيها أن غايته من كتابة هذا المشروع هو تحرير الأمة العربية من الأزمة الفكرية التي تعيشها، وقد لخص أسباب هذه الأزمة في سبب واحد وهو الآخر الغربي،ومن هنا فهو لا يعتبر الكتابة مجرد أداة لممارسة حريته، واختلافه، بل هي عنده هم جماعي، وهذا ما جعل النرجسية تطغى عليه معتقدا أنه يكشف ما عجز عن اكتشافه الغير، وما لم يستطيعوا التعبير عنه، واهما في الوقت نفسه أنه من سليل العلماء والفقهاء، ووارث المصلحين في حمل الأمانة الفكرية، والدفاع عن الهوية والذات[20]، كما يظهر تعصبه للطائفة المالكة والقابضة على الحقيقة، والوصية عليها، وذلك في اعتقاده بأنه حامل الرسالة التي من شأنها تحرير الأمة العربية من التبعية للغرب، وتجريد الغرب من مركزيته، فضال على دعوته في بناء عالقة جديدة بالآخر الغربي قوامها العداء، والمخالفة، والاستبعاد الكلي للغرب .

---

[19] حرب، نقد النص، ص 95.

[20] حرب، نقد النص، ص 93

وعلى هذا الأساس يرى علي حرب أن حنفي في رؤيته هذه قد وقع في التعصب الفكري، أومأ يسمى بالفلسفة الذاتية التي افتتحها الفيلسوف الفرنسي ديكارت في الفلسفة الغربية الحديثة، والتي تجعل صاحبها سجين فكره، وال يعترف بالغير، من منطلق أن نظريته هي الأكمل، مما يجعلها الأقدر على تحقيق الخلاص، وهذا مخالف في نظر حرب للمنحى التفكيكي المعاصر في قراءة النصوص الذي يرفض فلسفة الذات والوعي والحضور، من منطلق أن الذات ليست مطلقة، ولا وجود لذات مستقلة عن الموضوع، وأن ثنائية الذات والموضوع التي بنا عليها حنفي موضوعه الجديد هي ثنائية خادعة، وأن وضع الفلسفة الغربية موضع الدرس لا يعني بالضرورة السيطرة على الغرب، لأن مهمة الفلسفة هي خلق المفهوم، وليس وصف الواقع[21].

كما أن التراث الغربي لا يقتصر فقط على ما هو فلسفي، بل هو خليط من العلوم ذات التخصصات المتعددة، قد نتفق مع بعضها، ولا نتفق مع البعض الآخر، ولكن أن نرفض كل ما أنتجه العقل الغربي، فهذا مجرد وهم ناتج عن الذات المتعالية التي لا تعترف إلا بنفسها، وهو ما يسمى بالتسييج الحضاري الذي يقيم نوعا من السياج الفكري بين الأنا والآخر،وهي نظرة أحادية لا تختلف عن النظرة التقليدية التي تحصر الحضارة في بعد واحد أو ثقافة واحدة، وهو الوهم نفسه الذي وقع فيه دعاة المركزية الغربية الذين يرون كل الغرب خير، وكل الشرق شر، مستبعدين بذلك كل إسهامات الحضارات الشرقية في الحضارة الغربية.

هذا وبالإضافة إلى نقده لهذه المشاريع الفكرية، انتقد علي حرب المشروع الماركسي في الفكر العربي،والذي يمثله صادق جلال العظم،وحسين مروة، وغيرهما واصفا مشاريعهم الفكرية بأنها كانت دفاعا عن الماركسية و ليس بحثا عن الحقيقة، وهذا ما جعلهم يقعون فيما يسمى "وهم المطابقة"، وهو الاعتقاد بأن" الحقيقة جوهر ثابت، سابق على التجربة، متعال عن الممارسة"[22]، وذلك من خلال اتخاذهم للمنظومة الماركسية أساسا تقوم عليه كل الأفكار والمفاهيم، والمعيار الأوحد الذي تقوم عليه كل المقولات، ومن ثم الوقوع ضحية الإيمان بالحقيقة الواحدة الثابتة.

ـد. تفكيك الخطابات الدينية الإسلامية :لم يقتصر نقد علي حرب على المشاريع الفكرية العربية فحسب، بل تجاوز ذلك لنقد كل الخطابات الدينية الإسلامية وذلك بالارتكاز على استراتيجية التفكيك، معتبرا هذه الخطابات من أكثر الخطابات حجبا للحقيقة، وذلك بتسترها وراء البعد الديني الذي يتسم بالصدق وعدم التشكيك، من منطلق اتصاف النصوص الدينية بالقداسة، وعلاقتها بالإلوهية، وهذا ما جعل هذه الخطابات تغّيب الدين من وجهة نظر الدنيا، وتطمس ناسوتية الإسلام وأرضيته، وصفاته المدنية، وتقنيات الممارسة الدنيوية للظاهرة الدينية[23]. فضلا عن مسألة الاختلاف التي ظّلت محل جدل وتنازع بين الخطابات الدينية الإسلامية المتباينة، ذلك أنه يؤدي إلى التفتيت والتشرذم ، وتفكيك للهوية، مع أن الاختلاف، والانفتاح على المختلف فيه، حق شريطة أن لا يكون هذا المختلف نابعا من

---

[21] حرب، نقد النص، ص ص 20 ،25 .

[22] حرب، أوهام النخبة أو نقد المثقف، ص111.

[23] حرب، نقد الحقيقة، ص 55.

الذاتي، ويدعي المطلقية، هذا يؤدي بنا إلى الإيمان أن الآخر المختلف عنا هو شطرنا،ولا يمكن لَناَ أن ُتبني إلا به، يقول علي حرب في هذا الشأن: "إذا كانت مشكلة الهوية بما هي توكيد على التمايز عن الآخر، وبما هي مطالبة بحق الاختلاف...، فإن الاختلاف إشكالية تطرح نفسها على كل ثقافة، وهو واقع يخترق كل اجتماع بشري، إذ لا مجتمع في الأصل يخلو من تنوع وتعدد... ففي البدء كان الاختلاف والتفاوت، وعندما نقو ل في البدء نعني أن الطبيعة ذاتها هي التي تملي الفرق والاختلاف"[24]،ومنه يصبح الاختلاف مسألة طبيعية ضرورية، وحتمية تطبع الموجودات المختلفة في هذا الكون،كما أنه ضروري للوجود الفكري، إذ به نميز ذواتنا،وثقافتنا، عن الذوات والثقافات الأخرى، وهو اختلاف نسبي، متباين عن الاختلاف المطلق القائم على الماهية المطلقة، والذي هو اختلاف عن الاختلاف بالمعنى التفكيكي، ويشمل جميع المسائل المثارة على مستوى الفكر باستثناء موضوع الهوية.

هل هناك حدود ما امام تطبيق منهج التفكيك؟

5 -حدود تطبيق علي حرب لآليات التفكيك على النصوص والخطابات الفكرية :

إّن الذي يقرأ لعلي حرب يجد أن نصوصه وكتاباته تعد نموذجا بحق للتفكيكية في الفكر العربي المعاصر، خاصة وأنه كان يردد دائما أن القصد من الكتابة لديه هو فضح الألاعيب، والنفاذ إلى ما وراء الكلمات، والكشف عن الجوانب المخفية، و المهمشة في هذا النص أو ذاك، وهي الغاية نفسها التي كان يطمح إليها جاك دريدا، خاصة وأن كتابه" نقد النص والحقيقة"قد كان الغرض منه تزويد الدارسين والقراء بالآليات المتبعة في التفكيك بغية قراءة النصوص قراءة معاصرة بعيدا عن تلك الآليات التقليدية التي تحجب الحقيقة، وتكرس للفكر الأحادي الوثوقي الذي ينتج عنه التعصب، والتحزب، والعنف، والإرهاب[25]

حيث لم يكتف علي حرب بوصف آليات التفكيك في قراءة النص على المستوى النظري، بل راح يسقط بعض هذه الآليات على نصوص متنوعة من الفكر العربي والغربي،والخطابات الدينية، خصوصا الإسلامية منها، وهذا ما جعل علي حرب تلميذا مجتهدا في المدرسة التفكيكية، وذلك بتوظيفه كل المصطلحات والمقولات التفكيكية التي أبدعها دريدا في نقده للتراث الغربي كمصطلح الحجب، والكشف عن المطمور والمتخفي في النصوص، والحقيقة ليست أحادية،وأنها لا تكف عن التنوع والتباين والاختلاف، وأن القراءة هي فعل مولد للتباين، والنص لا يحيل إلى خارجه و لا إلى مؤلفه، والنص ليس بما يقوله، بل بما يسكت عنه، وكينونة النص المستقلة، وغيرها من المصطلحات والعبارات التي نجد علي حرب يرددها دائما أثناء نقده لأيّ نص أو خطاب هذا ويذهب الباحث الأردني الدكتور"مجدي ممدوح" في مقال له في صحيفة الرأي إلى أن إسقاطات علي حرب آليات التفكيك على بعض النصوص كان في معظمها كان تعسفيا، وذلك بسحب هذه النصوص الأصلية إلى منطقة أخرى حتى يصبح بمقدوره تطبيق هذه الآليات، كما أنه في الكثير من المواضع يقّول النصوص ما لم تقله، وهي في الحقيقة مجرد حيل لإغراق القارئ وإيهامه بأن ممارسة

---

[24] حرب،نقد الحقيقة، 2015، ص91.

[25] حرب، نقد النص، 2011، ص 22.

التفكيك أمر سهل وبديهي، فتنكشف كل هذه الحيل بالعودة إلى النصوص الأصلية، وأن هذه الإسقاطات قد طغى عليها الغطاء النظري التفكيكي بكثافة عالية على الممارسة التفكيكية، ومن أمثلة ذلك تطبيقه للتفكيك على نصوص الجابري في نقده للعقل العربي،فهو لم يفكك كل العناوين التي أوردها الجابري في مشروعه، بل أن نقده هو عبارة عن لف ودوران حول ثالث مصطلحات وهي العقل البياني، والعقل البرهاني،والعقل العرفاني،متهما الجابري بأنه قد ألصق البيان بالعرب، فكان بهذا إيديولوجيا،وتصنيفيا،مع أن الجابري من منظور تفكيكي كان ناقدا للعقل البياني العربي، ولم يعطه الأولوية والمركزية كما آدعى علي حرب،و هذا ما جعله أبعد عن التفكيكية وإن حرص على أن يكون تفكيكيا، و أنه يمارس التفكيك من باب الترف، لا توليد الحقائق، وإثراء الفكر، وإعادة بناء المفاهيم، فهو يمارس الهدم المحض الذي لا يعقبه بناء،مع أن التفكيك هدم وبناء كما بيّنه جاك دريدا .

وهو حكم نقدي نجده كذلك عند المفكر المغربي "إدريس هاني" في مقال له " مع علي حرب في منطقه التحويلي، مأزق الاستقراء، ونهاية المثقف"، إذ أوضح أن علي حرب في ممارسته للتفكيك بأنه تجريدي محض لا يرقى إلى مستوى التفكيك الإجرائي المشروط بإعادة البناء ، فهو يصنع القول، وممارسة الاختلاف بالقصد سوى تحقيق اللذة، فتحول بالتفكيك الذي غايته توليد الحقائق، وإعادة تأهيل المفاهيم إلى تفكيكانية مذيبة لكل ما هو صلب في عالم الأفكار،ويظهر هذا في ممارسته للنقد العنيف بلا هوادة ضد الأفكار والأنساق، كل هذا جعل من علي حرب مفكرا مشاكسا مهووسا بالسلب، جاريا خلف اللامفكر فيه، فاتضح انه هو كذلك تفكيكي مؤدلج حتى النخاع، فهو يعلن ثورته ضد الأصول، وهو في الوقت نفسه يخفي أصوله السرية، و أنه مقلد لبضاعة ليس له فيها قيمة مضافة، استوحاها من إرث الثورة النقدية الغربية، معتبرا إياها هي الآلية الوحيدة التي تخلص العقل العربي من العجز الذي يعيشه بسبب إغراقه في الإيديولوجيات و والتحزبات والطوائف، والمركزيات،وإذا كان التفكيك هو المخلص الوحيد من الأزمة فإّن علي حرب هو الآخر يقع في إيديولوجيا جديدة، لا يختلف حاله عن حال أصحاب المشاريع النقدية في الفكر العربي المعاصر، حين إدراجه لهم ضمن المثقفين الذين يروجون لأنساق فكرية مغلقة تدعي امتلاك الحقيقة،وتقدم تفسيرات نهائية للعالم، وهذا ما جعل إدريس هاني يقول عنه بأنه صانع أوهام، حاجب حقائق... يفكك هنا حيث يخفي انتصاره سَّر اِلُبنى هناك، والحقيقة أن التفكيك كغيره من المناهج النقدية و النظريات له سلبياته وإيجابياته، ولا يمكن اعتباره تجربة كاملة كما رّوج لها علي حرب في كتاباته بأنها هي المخلص الوحيد من كل الأزمات التي يعيشها العالم العربي، خاصة وأنه ليس من السهل الاشتغال على تجربة نقدية مستعارة في فضاء معرفي جديد مثقل بالإيديولوجيا،ويختلف تماما عن الفضاء الذي ولدت فيه هذه التجربة،كما أن الذي يقرأ كتابات علي حرب للوهلة الأولى يجده يروج وبقوة بأن هذه التجربة المابعد حداثية قادرة على زعزعة كل الترسبات الإيديولوجية التي تعلق بها العقل العربي، وكسر التفكير القائم على الاصطفاء والتفاضل، الدوغمائية، و من ثم إحداث تغيير جذري على مستوى الفكر العربي المعاصر،وبناء فكر جديد يستطيع مواجهة تحديات القرن الواحد والعشرين،ولكن حينما أراد أن يطبق آليات التفكيك على نصوص من المشاريع النقدية العربية، والخطابات الدينية الإسلامية انتابه الإخفاق .

ومنه يبرز الفارق بين لغة التنظير و لغة التطبيق والإجراء، والنتيجة أنه لم يستطيع تحقيق ما كان يطمح إليه، خاصة محاربة الانغلاق،مما جعل تجربته تبقى حبيسة التنظير، فقد بدأ إبستيمولوجيا، وانتهى في آخر المطاف إيديولوجيا، على الرغم من كثافة مشروعه على المستوى النظري، وهذا الإخفاق ربما يرجع إلى وقوعه في انغلاق بديل من خلال إيمانه العميق بالتفكيك كمنهج مكتمل، وعلى أنه هو المخلص للعقل العربي من جموده. وبهذا فهو قد انتقل من محاربة المقدس إلى التشبث بالتفكيك المقدس. وجدير بالذكر أن الأحكام التي توصل إليها علي حرب من خلال التطبيق الإجرائي للتفكيك على مختلف المشاريع النقدية في الفكر العربي المعاصر، والخطابات الدينية الإسلامية، لم يكن صادرا عن استنطاقه للنصوص فحسب، وإنما كان صادرا عن حكم مسبق، وذلك بإقراره الضمني والصريح بأن كل المناهج التي اعتمد عليها أصحاب هذه المشاريع عقيمة، ولا جدوى من التعويل عليها كأدوات منهجية للتعامل مع الفكر، مادام التفكيك هو المنهج أو الأداة الوحيدة التي تناسب النص شرحا وتأويلا وتفسيرا، وتفكيكا، ومن هنا نصب نفسه قاضيا يدافع عن الحقيقة، ويزن بمعيار الصواب والخطأ بناء على أحكام مسبقة، وهو الذي دعا إلى أن النقد لا يمكن أن ينطلق من فكرة مسبقة جاهزة وعلى هذا الأساس فقد وقع علي حرب في الأوهام نفسها التي ذكرها في كتابه الشهير"أوهام النخبة أو نقد المثقف" من خلال دعوته إلى اعتناق التفكيك، ونبذ كل المناهج والأدوات الأخرى التي تمارس سلطتها على العقل إلى حد التقديس، في الوقت نفسه غرق في تعظيم التفكيك، وهو القائل في مقدمة كتابه " نقد النص" هذا هو مشروعي،بل هذا موقفي وشاغلي: أن لا أشّرع لعقلي على نحو قبلي، وأن لا أرسم الحدود لفكري بصورة مسبقة، باختصار لا أقيم سورا محكما أسور به ذاتي وهو يتبع المقولات والنظريات والمناهج"[26].

ومنه يكون علي حرب قد نقض هذا المبدأ نقضا تاما من خلال اعتناقه أنموذج التفكيك، وتصفية كل المناهج المغايرة، وتسفيهها وتدميرها، من منطلق الإعجاب إلى حد الانبهار بالنموذج الغربي وتوظيفه كأقنوم ثابت، كون الانبهار النفسي يؤدي إلى التقليد الأعمى، و يلغي كل أنواع التفاعل والعيش المشترك، والانفتاح الرشيد للتواصل مع الآخر ، ثم إن مفاهيم تفكيكية كاللعب والمتعة،والحفر،والعالمة،والجري خلف اللامفكر فيه، أو الغياب،كلها مفاهيم تبدو بعيدة عن تطلعات الجماهير العربية التي تعيش الانقسامات الداخلية، والحروب الأهلية، والفقر والتشرد، والتشتت في بلدان العالم، فكيف يكون التفكيك هو الحل للأزمة، في عالم بات التفكيك هو واقعه وأسلوب حياته يدعو إلى المادية البحتة، والقضاء على الميتافيزيقا، من منطلق أنها تكرس للحضور والمركزية والمعيارية،والثنائية،قد واجهتها انتقادات من طرف الكثير من المفكرين العرب، إذ ذهب المفكر المصري عبد الوهاب المسيري إلى أن هذه الدعوة تحوي داخلها نزعة إبادية للإنسان، وذلك عن طريق التخلص من العناصر غير المرغوب فيها عن طريق إبادتها بشكل منظم ومخطط بحجة محاربة اللوغوس،والمركزيات،والحقيقة الأحادية[27] .

---

[26] حرب، نقد النص، 2011

[27] المسيري، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان. سوريا، دار الفكر 2012، ص 30.

هذا من الناحية الفلسفية، أما من الناحية العقدية، فقد ذهب المفكر السعودي"سعد اليازجي" إلى أّن المشروع التفكيكي عامة، له صلة وثيقة بالتراث اليهودي غير المتجانس،ذلك أن كثير من مفاهيمها ومسلماتها لها أصول في التراث العبري،الذي يحوي عقائد متناقضة،ومستقلة عن بعضها البعض،دون أن يلغي الواحد منها الآخر، خاصة ما يتعلق بقراءة النصوص على الطريقة اليهودية،باعتبارها استراتيجيات نصية تفسيرية،وأن"لعب التفسير"في عدم ثبات المعنى والحقيقة المتفق عليها يرجع أساسا إلى تجربة الشتات اليهودي في العالم والرحيل الدائم دون الحلم بالعودة،ودون وجود معنى أو بنية ميتافيزيقية التي تمنح الاطمئنان،وأن العامل الذي أدى إلى انتشار التفكيك في أمريكا بشكل مكثف على الرغم من أن دريدا من أصول فرنسية يرجع أساسا إلى كثافة التجمع اليهودي السكاني في الواليات المتحدة الأمريكية[28]، وبالتالي هذا التلقي الكبير لأطروحات دريدا في الولايات المتحدة الأمريكية سببه تبني العنصر اليهودي المسيطر في أمريكا لأطروحات المفكرين اليهود الذين ينهلون من تراثهم،ثم يلمعونه بصبغة فلسفية ودواعي علمية كما هو الحال بالنسبة "سجموند فرويد ."

كما أن فكرة موت الإله، والتي انبثق منها موت المؤلف، ومفهوم النص الذي جاء به دريدا هي أفكار تعود إلى المفهوم اليهودي للإلوهية، فالإله اليهودي غائب ومنسحب على عكس ألهه الإغريق الحاضرة باستمرار، فموت الإله حل محله الكتاب، والعودة إلى الكتاب هو العودة إلى مواقع منسية[29]، وربما هذا هو سر انجذاب المفكرين اليهود مثل ماركس **وفرويد، ودريدا** وغيرهم نحو إستراتيجية التفكيك،كمحاولة منهم إيجاد مواقع خارج تقاليد التراث الغربي المتمركز حول اللوغوس .

وعلى هذا الأساس فمن غير المعقول أن تكون إستراتيجية التفكيك المتخفية وراء الإيديولوجية اليهودية، هي المخلص للعالم من الإيديولوجيات،والمركزيات، إنها إستراتيجية للقضاء على الهويات، والخصوصيات، وفرض الهوية اليهودية على العالم، وعلى الرغم من املحا والت المتكررة لعلي حرب لتجميل وتلميع التفكيك كمفهوم ما بعد حداثي، إلا أّن هذه الفلسفة تبقى في صميمها فلسفة تقويضية، هدمية، تقوم على التخريب والتعرية، كونها تهدف إلى النقد بلا قيود، وبلا حدود، خاصة ما تعلق بالثابت والمستقر. وهو الدين بنصوصه وأحكامه الثابتة.

ومن هنا تبرز رؤية ترى أن التفكيك يشكل خطرا على العقائد، والنصوص الدينية المقدسة، العقيدة الإسلامية منها على سبيل المثال لا الحصر، فالتفكيك كمنهج يصلح في بعض النصوص، ولا يصلح لنصوص أخرى، أما أن نجعله هو المنهج المخلص الذي يصلح لكل النصوص كما رّوج له علي حرب فهذه مغالطة، وقصور في فهم المناهج، ثم إن التفكيك إذا صلح في بيئة الغرب، فليس بالضرورة أن يكون صالحا في بيئة العرب، وذلك يرجع إلى انفراد كل امة بتراث خاص بها ، فيه من الخصوصيات التي ترتبط بالسياق الحضاري والزمان والمكان، ومنه يمكن القول انه لكل امة فلسفتها في التفكير والتأسيس لرؤيتها لهذا العالم والحياة ،ومادام الموضوع مختلف فالمنهج أيضا بالضرورة سيكون مختلفا.

---

[28] اليازجي، استقبال الأخر، 2012، ص 19.

[29] اليازجي، استقبال الأخر، 2112، ص 15.

خلاصة المشروع التفكيكي ل علي حرب:

ــ النص عند علي حرب حقل واسع يحوي كنوزا، لا يمكن التوصل إليها إلا عن طريق الحفر، والتنقيب بحثا عن الجوانب المطمورة، و المهشمة فيه، وهذا يتوقف على جهود المؤلف والمتلقي على حّد سواء،لأن قوة كل نص تكمن فيحجبه واختلافه بهذا المعنى لا في وحدته وتجانسه، و إن كان يعتبر علي حرب سفيرا التفكيكية في الفكر العربي، لكنه ومع اجتهاده في ترويج هذه الإستراتيجية المستعارة من الغرب على أنها تتصف بالبداهة والسهولة في التطبيق في البيئة الفكرية العربية، وأنها المشروع البديل لكل المشاريع الفكرية السابقة،ما هو في الحقيقة إلا إيهام للقارئ ،والمتلقي العربي، لأن التفكيكية ليست مشروعا فكريا بديلا كما يؤكد على ذلك دائما جاك دريدا، ولكنها مشروع فكري يمتلك جرأة نقدية قادرة على خلخلة الأنظمة الفكرية والإيديولوجية السائدة بنوع من الصرامة العلمية والأصالة المعرفية.

ــعلى الرغم مّما لمقولات التفكيك كما روج لها علي حرب من بريق وجاذبية، إلا أّنه يجب الحذر منها في قراءة تراثنا العربي والإسلامي، وعدم التسليم بها تسليما أعمى في قراءة النص الديني المقدس، كالقرآن الكريم،الحامل لمبادئ للعقيدة الإسلامية التي تدعو إلى الثبات، والإيمان بما هو غيبي يقيني، وترفض الهدم المستمر المتناهي كما تدعو إليه التفكيكية، لأن الاختلاف في العقيدة يؤدي إلى الاختلاف في الرؤى، والذي يدفع لا محالة إلى التطرف والتزّمت، والأزمات الدينية، والحروب الأهلية باسم الدين، وتكون النتيجة الإرهاب والدمار،وهو مسعى اللوبيات الصهيونية المتسترة وراء إستراتيجية التفكيك العالمية لضرب الهويات والثوابت والأسرة، خصوصا في بالد الإسلام تحت غطاء الإبستيمولوجيا، والمعرفة والبحث العلمي..

ــ إن انتقال المفكرين العرب من وكلاء للحداثة الغربية إلى وكلاء لآليات ما بعد الحداثة يدل على أن الفكر العربي لم يتحّرر من سلطة الهيمنة الفكرية الغربية،ومن سلطة الانتماء إلى الآخر،ولم يستيقن المفكرين العرب بعد بأنه سيظلون مستهلكين، لا منتجين، ما لم ينطلقوا من تربتهم الخصبة، والاعتماد على الذات.